البنية السردية في رواية كوثاريا الزمان والمكان
مقاربة سايكو نصية

الباحث: رحمن عيسى صافي السعيدي

كلية الطب البيطري/ جامعة ذي قار / العراق

rahman.safi@utq.edu.iq

الملخص :

كشفت لنا هذه الدراسة إلى محاولة تحديد مفهوم البناء الروائي أو السردي وإبراز أهميته في إقامة دعائم الرواية, ولأن هذا المكون السردي لا يمكنه أن يتمظهر في الرواية إلا مصحوبا بأبعاده الخارجية (الواقعية)، فقد تطلب البحث فيه، لكن في حدود ما تسمح به الاستفادة من فلسفته في بناء تصور جمالي في إطار معالجتها لموضوع الفضاء السردي, من خلال التطرق على دراسة عنصرين أساسين من عناصر البنية السردية هما عنصرا المكان الزمان السرديان, وابراز اهم العلاقات التي نشأت بين هذين الفضائيين والشخصيات التي يحاورها الراوي في روايته كوثاريا, وكذلك الإبانة عن شبكة العلاقات التي يقيمها الراوي مع بقية العناصر السردية في كيفية إنتاجه لتلك الدلالات, إذ أثارت إشكالية فضاء المكان وابعاده النفسية الأثر الابرز التي ألقت بظلالها على هذه الدراسات، كما سيتعرض البحث أيضا إلى أهم التحولات الزمانية وتقلباتها في الرواية.

الكلمات المفتاحية: (البنية السردية، رواية كوثاريا، الفضاء السردي).

Narrative structure in Kotharia novel Time and place
Seiko textual approach

Rahman Issa Safi Al-Saidi: Dhi Qar University, College of Veterinary Medicine, Dhi Qar, Iraq.

Abstract

This study revealed to us an attempt to define the concept of the narrative or narrative construction and highlight its importance in establishing the foundations of the novel, and because this narrative component cannot appear in the novel except accompanied by its external (realistic) dimensions, it required research in it, but within the limits of what allows benefiting from it. His philosophy is to build an aesthetic perception within the framework of its treatment of the issue of narrative space, by addressing the study of two basic elements of the narrative structure, which are the narrative elements of space and time, and highlighting the most important relationships that have arisen between these two aliens and the characters that the narrator is interviewing

in his novel Kotharia, as well as the indication of the network of relationships Which the narrator evaluates with the rest of the narrative elements in how he produces those connotations, as the problem of the space of the place and its psychological dimensions raised the most prominent impact that cast a shadow on these studies, and the research will also be exposed to the most important temporal transformations and their fluctuations in the novel.
Keywords: (narrative structure, kotharia novel, narrative space).

يقول كاتب رواية **(كوثاريا)** من تجليات خطابه الخيالي الخارج عن أطر الزمان والمكان في مدونته السردية: **((يستمر بنفث دخان سيجارته دون أن يكلمني, كأنه يستمع لموسيقى هادئة, فهو خارج الزمان والمكان. يصل نقطة ما بعد تحديقه في الفراغ العميق, يبدو إنها نقطة مهمة, يطفئ سيجارته بسرعة كمن يروم الخروج لأمر مستعجل, يتجه صوب اللوحة المعلقة على الجدار بحثاً عن فوزية. يركب الزورق المتوقف عند الشاطئ, تبتل قدماه وهو يدفعه إلى الماء دفعة قوية, يسير خلالها الزورق مسرعاً... يجذف بعيداً نحو جزيرة الكنز الموعودة, باحثاً عن حورية أحلامه... حيث جبل حاد السفح عالي القمة يبدو في اللوحة. يرى طيفها على قمته بملابس نوم بيضاء شفافة وابتسامة سحرية وشعر طويل متسربل كشلال كستنائي. يراها أميرة من القرون الوسطى, إلى جانبها فارس مغوار من فرسان الطاولة المستديرة بزيه القتالي المهيب))** [١] .

المقدمة:_

شهدت النصوص الروائية عموما في الفترة الأخيرة تطورا وتغييرا على مستوى مكوناتها الأساسية شكلا ومضمونا ووظيفة, مما أعطاها المزيد من الدلالات والرمزية وخصوصا مفهوم البنية السردية أو الفضاء الروائي الذي شهد بالآونة الأخيرة توسعا في دلالاته الرمزية وجمالياته عند الكاتب العربي, فقد أخضع الكاتب العربي الحديث والمعاصر بصورة عامة والكاتب والراوي العراقي الحديث المعاصر بصورة خاصة, مفهوم البنية السردية وعنصري المكان والزمان لمقتضيات العصر والحداثة والتغيرات التي لحقت به, فلم يعد المكان مجرد ديكور روائي من خلال المفاهيم والدلالات الجديدة التي فرضتها ثورات التطور العلمي والتقني الحديثة فغيرت أنواعه ليصير المفتوح مغلق, أو ينفتح المغلق على رحاب الأفاق الواسعة, بفضل وسائل الأعلام والأتصال,

وأيضا لسنا هنا بصدد الحديث عن الزمن (الموضوعي) الذي يوصف بأنه ((**زمن عام، وشائع، ويخضع لمقاييس وتقاويم كان تكون لحظات، دقائق، ساعات، أيام، أشهر، سنوات، وتعاقب الفصول، فيشكل الوقت الذي نستعين به لضبط آلية عجلة الزمن، ولا يكون نابعا من خلفية ذاتية للخبرة الانسانية**))[٢], إنما بصدد الحديث عن (الزمن النفسي) وآلية تشكيلاته وتجسيداته الداخلية في الرواية من خلال بؤرة العلاقة الفاعلة بين (الزمن والشخصية) وحجم تأثيراته وما يخلفه من أبعاد نفسية على الشخصية في حيز النص الروائي[٣].

كما أن ضخم الشحنات الدلالية للعناصر الروائية التي لها علاقة بمكون الفضاء النصي والبنية السردية مكن الكاتب من إيجاد تقنيات سردية جديدة مثلا_ توظيف التقنات السردية الحديثة في النص كالتلاعب الزمني والمزج بين الأزمنة, واستخدام الأساليب التعبيرية الجديدة ومتعددة لتوظيف المعاجم روائية ولغوية أوسع, وأكثر توليد للقيم الفنية والجمالية للخطاب الروائي, وقد تميزت هذه المرحلة الروائية بتجريب أشكال تقنية مختلفة في الكتابة الروائية, مثلا الأهتمام بالمكان والزمان الروائيين بوصف كل منهما عنصرا بنيويا فعالاً له حضوره السردي وأبعاده الدلالية, وقد كان هنالك سعي واضح من لدن كتاب الرواية العراقية في توظيف أساليب سردية تظهر الأبعاد النفسية لأثر هذه الممارسات على واقع الفرد العراقي وما توديه من انهيار ذاته، وضياع هويته، وكبت رغباته، وضياع أهم حقوقه وهو حق العيش بطمأنينة وأمان.

سبب اختيار الموضوع:

إن الحديث عن الزمان والمكان في البنية السردية يقتضي التأكيد على العلاقة التي تربطهما كونهم عنصرين فاعلين في العناصر السردية وخاضعين بدورهما للتأثير, فهما ركنان من أركان العملية السردية الأخرى ويستمدان قيمتهما وأهميتهما من شبكة العلاقات التي ينسجانها بينهما أولا, وبين كل منهما وباقي تلك الأركان والمكونات

السردية الثانية؛ لذا جاءت دراستنا موسومة بالبنية السردية ومقتصرة على تلك البنيتين أو العنصرين الفضائين.

كما أن الرواية جعلت من العالم قرية صغيرة, بل ووفرت للإنسان القدرة على الدخول عوالم الأجسام والتجول داخل الشرايين والأوردة وفتحت له نوافذ للاطلاع على كل اصقاع الكون السحيق وما يجري فيه من أحداث وتغيرت لحظة بلحظة مقترنة بزمن معين, وأن كان ذلك يتوفر في مناطق من العالم دوم غيرها, فأن ساهم في توسع مجال المساحات المتخيل الروائي وكذا الإنزياحات اللغوية وعلية وقع أختيارنا على النص الروائي.

إشكالية البحث وسبل معالجة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن البنية السردية في رواية كوثاريا بما تحضر فيه من تقنيات سردية وعن رصد أثر عناصر السرد الأخرى ولاسيما(الزمن والمكان) وفق رؤى نفسية عائدة للشخصية أو في رؤى مصاحبة بين الراوي والشخصية .

والتطرق على كل ما يعصف بذات الشخصية من صراعات وحالات نفسية ومدركات شعورية ولا شعورية مضطربة عبر علاقات متفاعلة بين (الشخصية والزمن)، وبين (الشخصية والمكان).

أهمية البحث:

نسعى دائماً للحديث الى الحديث عن اهمية المكان والزمان في الرواية ونعبر في الاجابة عن هذه الاهمية حيال هذين العنصرين الكونيين المتمثلين في الادب, إن عنصر الزمان قادر على الفعل بالأشياء والبشر, متحرك في مسار سرمدي لا يعطله أو يغيره شيء, إما المكان فهو ثابت لا يتحرك, يرى ويمس ويفعل به من قبل الزمن, مع ذلك فالزمن مفتقر اليه ليرسل من خلاله دلائل وعلاقات وجوده, كما إن مصطلح (الزمكان) يدل على دلاله واضحة من خلال ((**العلاقات الجوهرية المتبادلة بين الزمان والمكان المستوعبة في الأدب استيعابا فنيا**))[٤].

الإطار المنهجي في الدراسة:

يعدّ(المنهج النفسي أو أسلوب السرد النفسي) – موضع الدراسة– واحد من أهم الأساليب السردية؛ التي عنيت بـ(العرض والإخبار) عن كل ما هو نفسي، إذ يتم فيه التركيز على الشخصيات ذات الكثافة السايكولوجية لما تنطوي عليه من مشاعر وأفكار وصراعات نفسية تعكس أزمات ورغبات وحالات شعورية ولاشعورية مضطربة. وهذا ما يجعل المنهج المتبع في هذه الدراسة (سايكو نصي) أي البحث عن البواعث النفسية وخفايا العالم الداخلي للشخصيات الروائية داخل نصوص الروايات. سواء أكان من خلال سرود نفسية داخلية تصاغ بأساليب لفظية نابعة من لغة الشخصية وأسلوبها المباشر أم من خلال سرود نفسية داخلية ترصد حالات ذهنية مضطربة بأساليب غير لفظية. ورصد أثر عناصر السرد الأخرى ولاسيما(الزمان والمكان) وفق رؤى نفسية عائدة للشخصية أو في رؤى مصاحبة بين الراوي والشخصية .

فضلاً على كل ما يعصف بذات الشخصية من صراعات وحالات نفسية ومدركات شعورية ولا شعورية مضطربة عبر علاقات متفاعلة بين (الشخصية والزمن)، وبين (الشخصية والمكان).

لهذا يتخذ بحثنا الموسوم (**البنية السردية في رواية كوثاريا**), والمتعلق بدراسة عنصري المكان والزمان السرديين؛ بوصفها من أهم العناصر البارزة في الرواية, ومن المنهج النفسي التحليلي المستند إلى نظرية السرد منطلقا أساسيا له, فهو يوظف مقولات السردية وأثرها النفسي, محاولا تحليل النَّص الأدبي بصورة موضوعية تنطلق من داخله وليس من خارجه, دون الأخذ بأحكام مسبقة أو إضفاء أية أحكام قيمة, وهذه الدراسة النفسية للشخصيات التي تُجسد الكاتب ويجسدّها في الرواية تقوم على الملاحظة النفسية ووصفها لذلك ثم تحليلها ثم استخراج النتيجة وتعميمها ضمن الحدود المناسبة, لذا اقتصرت الدراسة على بنية السرد وعن هذين العنصرين.

ومن الله التوفيق,,,

المبحث الاول

الفضاء المكاني في رواية كوثاريا

أهمية المكان في الفضاء السردي:-

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذى تجرى فيه الحوادث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوى كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، ويمنحها المناخ الذى تفعل فيه، وتعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف، وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذى تصنعه اللوحة باعتبار ((**أن المكان "ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معانى عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله**))[٥].

وبداية لابد من الاتفاق على أن المكان في الرواية أياً كان شكله ليس هو المكان في الواقع الخارجي، ولو أشارت إليه الرواية، أو عنته، أو سمته بالاسم، إذ يظل المكان في الرواية عنصرا من عناصرها الفنية .

تحاول هذه الدراسة الجادة الكشف عن ماهية وأهمية المكان بشقيه المتضادين (**المعادي والأليف**), وأهمية حضورهما في الرواية, ومن هذا المنطلق المتحرس تم تقسيم مادة هذا المبحث بحسب موضوعاته على وفق الاتي:-

أولا: **ديستوبيا المكان في رواية كوثاريا**:

ثانيا: **يوتيوبيا المكان في رواية كوثاريا**

أولاً:_ ديستوبيا المكان المعادي (السجن) في رواية كوثاريا

يستفز السجن الروائيين دائما, فهو رمز الانفصال البدني عن العالم الخارجي, ومركز الإنسان الذي يتحول إلى مجرد كائن يحمل رقماً ما, ويصبح العالم الخارجي

كله زنزانة وتصبح قنوات اتصاله مع هذا العالم محددة, حيث يتعلق السجناء بأشعة من الضوء تأتيهم من الخارج, فالسجن كمكان هو رمز للضيق والعزلة(٦).

ويمثل السجن مكانا يرتبط بالمدينة كما في رواية كوثاريا, وهو مكان يعلن دوما عن عدائه وحربه الضروس ضد الشخصيات, من خلال انغلاقه وضيقه وظلمته وبرودته كما هو الحال في رواية كوثاريا عندما عمد الراوي لتسمية السجن بالمزرعة اسوةً بتسمية السجن الخاص بالرجال المتنفذين وكناية عن رجال الدولة المتنفذين بالسلطة والمسيطرين على اروقة السجن وهي تسمية شائعة في دولة مصر **حينما قال: ((أسئلة كثيرة ألحت عليّ خلال لحظات وقوفي أمامه, كادت أن توصلني إلى مشارف الجنون. قطعت إلحاحها صيحات وتوسلات تتعالى من الغرف المجاورة. أسمع الجدران ترددها بوجل. كأني أرى تلك الصيحات والتوسلات مجسمة أمامي كحمائم عملاقة تجوب المكان وتخترق الجدران, لتنظم إلى أسراب أخرى تملأ المزرعة, تجثوا على الأشجار, تتمرغ بالعشب))**(٧).

يصف لنا الراوي عبر سيلاً من الأسئلة هول وبطش اللحظات الجنونية التي مر بها صورها بتجسيم هذه المعاناة كالحمام الذي يجوب في مكان لا منفذ له للخروج والحرية. فهو قابع في قاع هذا المحيط المغلق الذي لا حول ولا قوة له, كما أن الراوي وظف هذه المفردات في نصه وشبه بالمشهد المسرحي وآلم معناة ما يتعرض له الإنسان داخل السجن من تعذيب للجسد والنفس وتنظم إلى الالاف من الضحايا القابعة في السجون .

يرتبط السجن في النماذج الروائية المختارة بالمدينة, فهو مكان ذو حضور مهيمن وطاغ في الروايات العراقية والعربية, وربما يكون هذا الارتباط لع علاقة بموضوع الحريات, وفي الروايات التي تدور أحداثها في داخل السجن.

ويبدو المكان في رواية (كوثاريا) مكانا قامعا ومصدر للشر والاذى, وبئرة القلق والخوف, لذلك يكون الهروب منه هروبا من ذلك الشر, رغم ان مسببه هم البشر/ الشخصيات الروائية (سمير ونبيل), إلا أن هذا المكان (سجن كوثاريا) هو المسبب الرئيسي؛ لآنه معمل لصنع الأصنام والخروج منه هو الهروب من هذه الاصنام

وظلالها[٨], لذا يعد مكان السجن في كوثاريا من اخطر الأمكنة عدائية او المعادية الرئيسة في الرواية ويتضح ذلك من خلال نص الذي جاء فيه ((**ليتني استعجلت بالسفر قليلاً, لما استطاع أتباع سمير اختطافي وإحضاري اليوم في مزرعته المقبرة هذه. لكنت الآن في بلد آخر بعيدا عن كوثاريا. في بلد لا سطوة فيه . أبدأ هناك حياة جديدة, حيث لا احد يعرفني ولا ماضٍ يلاحقني أعود حقيقيا كما كنت في السابق, قبل أن يفرض علي القدر مصاحبته في رحلة حياتي الماضية**))[٩].

ولأن السجن مكان محيط استلابي, فأن الشخصية تجبر على الانتقال إليه بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات سيئة فرضا أو طوعا وقد يحمل السجن دلالات سلبية متمثلة بـ(**مصاراعات, الاشتباك بالأيدي, الحبس الانفرادي, الأمراض المعدية, اشباه الرجال, اقراص السعادة, المضاربات, الحالات الشاذة**) .

كلها عادات سيئة تمارس في اخطر الأماكن المعادية وهو (السجن) يقول صاحب الرواية على لسان بطلها: ((**صُدمت بمشاهدة (المضاربات) التي تجري هناك؛ فالشجار عندهم يختلف عما كنت أراه خارج السجن... ثم يتحول إلى شجار ممنهج كأنه لعبة رياضية لها قوانينها, يسمونها (المضاربة)... أظلمت الدنيا بعيني لهذا المصير الأسود وللمصاعب المحتملة التي سألاقيها حتى انتهاء مده محكوميتي. لم يكن أمامي إلا الادعاء باني على شاكلة سمير, فانتحلت شخصيته وصرت أقلده في كل تصرفاته...**))[١٠].

يثير الإحساس بالاختناق والاستلاب ازدياد صورة سوداوية لمدينة كوثاريا وقتامتها, وتحولها إلى فضاء فجائعي عندما ارتبطت بالسجن, مما دفع الراوي إلى الاعلان من خلال نصه السالف عن ثورة من نزع المكبوتات, وتذكي مشاعر الغضب والسخط على الجلادين خلف جدرانه, كما إن لجوء السارد إلى تقمص قناع سمير ما هو إلا للهروب من تلك العادات أو حتى الا الابتعاد عن الشخصيات الموجودة في السجن وهذا يتضح جليا حجم المعاناة هناك.

يحمل السجن في هذا المثال دلالات التعسف والقهر الممارس من طرف ضد الناس العزل, فهو مكان مغلق يفتقد إلى أبسط شروط الحياة الكريمة, تتعرض فيه

الضحية للتعذيب الجسدي والنفسي, فتبدي سياط جلادها صمودا ومقاومة كبيرة وهذا ما رواه الراوي في فصل(الخلاسة) من روايته والتي قال فيها: ((**وأنا أغسل وجهه في غرفة الخلاسة, ناولته قدحاً ليشرب. أحس انه ولد من جديد وأن رجولته عادت أليه أكثر من السابق وأنه جدير... حمود يهزمني كل مرة, انتصر عليَّ في معركة فوزية وها هو اليوم ينتصر علي بعوقه, لا خرطوم لديه لأقطعه, ... شبح الضرورة يطلب مني أن انتصر عليه واقهره. صرخ سمير كالمجنون. وامسك إحدى الفوهات المعدنية الباردة, وتوجه نحو احدى الغرف التي تضم مجموعة من المخطوفين. وبضغطة واحدة من سبابته جعلها تمطر وابلاً من كرات النارية لا تميز بين اعمارهم, اسمائهم, أديانهم, مذاهبهم, قومياتهم. تقافزوا كقطرات سمن مغلٍ في صفيح ساخن وقعت عليها قطرات ماء. بعد أن أصبحت فوهة الموت ساخنة سخونة سوائلهم الحمراء, توقفوا عن التقافز والحركة واصطبغت ارضية الغرفة بتلك السوائل . هدأت ثائرته والتفت إليَّ بابتسامة مرعبة:**

- **لا تبتئس, فهذه السوائل الملونة تستحق أن تجري تحت قدمي.**
- (...)
- **دماء رمادية, كدماء قمل الملابس الأبيض الذي كنا نتسابق به في السجن))**[١١].

يرتبط السجن في الرواية بمعاني الرداءة, من خلال برودته, والرطوبة, وابشع عمليات التعذيب وصور القتل, حيث ينقل لنا الراوي مدى الجرم والاستهانة بالبشر وعدم الاكتراث لأرواح الناس ورخص دماءهم لساعة غضب, وهذا يتضح من سياسة أحد دكتاتورية الحزب الحاكم (السابق) لقتل وترويع الناس دون تمييز لمذهب أو معتقد أو انتماء, غالبا ما يرتبط السجن أيضا بلحظات التوتر والقلق, بسبب الازعاج غالبا ما يأتي وصف الأمكنة في الروايات الواقعية مهيمنا عليها لون الدم في صورة تجسد واقع السجون النظام السابق .

والامكان المعادية كثيرة في رواية كوثاريا منها:(**الخلاسة, سجن بوكا, سجن ابو غريب, الإصلاحية, سجن الاحداثي, المزرعة...**), فالأماكن فيها كثيرة ولا يسعنا شرحها كلها, ويحضر السجن في رواية كوثاريا المجال الاوسع من الرواية فهو مكان

ضغط نفسي يؤجج احساس الراوي بالألم والمرارة وكلما عاد بالذاكرة إلى الوراء وهو يسترجع قصة دخوله السجن ظلما عند اقدامه على انتحال قصة مقتل ابيه بدلاً من اخيه ناصر وهو ثيمة ومحور ومرتكز الرواية ويرتبط دلالة السجن بعنوان الرواية ويرتبط السجن في النماذج الروائية بالمدينة فهو مكان ذو حضور مهيمن وطاغ على الرواية كوثاريا. وربما هذا الارتباط له علاقة بموضوع الحريات وفي هذه الرواية تدور احداثه فيه .

٢- يوتوبيا المكان الأليف في رواية كوثاريا

المكان الأليف حسب تعريف باشلار هو مكان العتبة المقترنة بالدف والشعور بأن ثمة حماية لهذا المكان من الخارج المعادي وتهديداته, ويمنح هذا المكان الفسحة للحلم والتذكر وقد يقدم الكاتب أو يهتم بتفاصيل صغيرة لا تخطر إلا في ذهنه وهو يسترجع صورة من الذاكرة وقد يضيق هذا المكان او يتسع. وتتعقد علاقات الشخصيات بمنازلها وتتنوع الأزمنة الذاتية لذا فأن الغالب على علاقات الشخصيات بمنازلها صفة التذبذب, ففي لحظات السعادة تتألف الشخصيات بالإمكان, وفي لحظات البؤس تضطر الى مغادرتها والتنكر لها(١٢).

ويركز باشلار على أكثر الأماكن آلفه للكاتب وهو البيت الذي ولد فيه ونشأ لئن البيت الذي ولد فيه, وقيم الألفة موزعة فيه, وليس من السهل إقامة توازن بينهما, اذ عي من تخضع للجدل, فالبيت الذي ولد فيه محفور بشكل عادي في داخلنا يصبح مجموعة العادات العفوية(١٣).

ويشكل المكان الأليف مجموعة من الصور التي تعطي الإنسانية براهين أو أوهام التوازن ونحن نعيد تخيل حقيقتها باستمرار ولتميز كل هذه الصور يعني أن نصف روح البيت: انها تعني وضع علم نفس حقيقي للبيت او المكان الأليف .

والمكان بجوهره أو كينونته دافع ومحرك للأحداث وسبب لكل ما تقوم به الشخصية, بل هو واحد من العناصر التي تخلق وعي الإنسان وتشكل تجاربه عبر تماسه معها, فهو ليس وعاء مجردا لوقوع الحدث, أو حيزا للحياة فحسب, بل هو صورة من صور وجودها(١٤)

ان المكان الأليف في رواية كوثاريا قليل وقد يكاد ان يكون معدوم كون الرواية تدور اغلب احداثها عن السجن وأثاره النفسية والجسدية ولم يتطرق الراوي لمشاهد او احداث عن المكان الاليف كالبيت او المدرسة او اي مكان يشعر فيه الراوي او الانسان بالطمأنينة والامان لذا عندما يستعين الروائي بوصف المكان أو تسميته، فهو لا يسعى إلى تصوير المكان الخارجي، وإنما يسعى إلى تصوير المكان الروائي، وأي مطابقة بينهما، هي مطابقة غير صحيحة، وما استعانة الروائي بالتسمية أو الوصف إلا لإثارة خيال المتلقي حين يصف سمير قائلا: ((**مستغرقاً كعادته في تأملاته واستذكاره ليالي الطفولة التي كان يقضيها عند فوزية حيث تغرقه بعاطفة امومة محرومة. كانت فوزية تلك الجارة العاقر الحسناء تقضي معظم وقتها باللعب معه تعويضاً لشيء من لوعتها على إنجاب طفل؛ فهي تعيش معظم الوقت وحيدة بسبب تأخر زوجها حمود الأعرج في العمل**))[١٥].

رغم ملامح القسوة وانطباعاته الشريرة وافعاله الشيطانية إلا أن الراوي يصف لنا هذه الشخصية في نصه السالف, انه يستذكرك مرحلة الطفولة وشعوره بالأمان فيها أو هي من لمراحل أو الاوقات القليلة التي شعر فيها انه انسان ولهذا دائما ما يسترجع هذه الذكريات في الرواية ويستذكر اشتياقه لفوزية التي كانت تتعامل معه كأنها امه كونه قد حرم منها كثيرا في بيته فقد كانت امه تتعامل معه بقسوة وتأمره بسرقة زوجات ابيه لذا هو يشعر بالأمان في بيت فوزية الذي يعتبره رمزاً للطفولة الجميلة والحنان المفقود المستلبة, حينما صور لنا طبيعة ذلك المكان الأليف اذ فيه قال: ((**حتى الاستحمام الذي كرهته في طفولتي بسبب طريقة أمي العنيفة, كنت اراه رائعاً عند فوزية**))[١٦].

وفي الرواية كوثاريا يظهر المكان معبراً عن نفسية الشخصيات، ومنسجماً مع رؤيتها للكون والحياة وحاملاً لبعض الأفكار والذكريات كون لا يوجد مكان اكثر امان واستقرار وآلفه سوى البيت, وحين اشار الراوي وهو السارد والمتحكم في الرواية من خلال مونولوجه الداخلي الذي وصف به طبيعة آلفت ذلك المكان((**تركت البحث عني خلال أيام الانتفاضة وتقوقعت في البيت, مستمتعا بدفء حنان الأم الذي حرمت منه**

في وقت مبكر سجيناً ثم جندياً بعد ذلك. نظراتها الحانية كانت تشعرني بأن بقايا إنسان لا زالت تقبع في داخلي. بقايا قد تسنح لها فرصة الخروج ونفض الغبار الذي تراكم علي من خلال هزائمي وخيباتي وانكساراتي أمام القدر عدة مرات. أهدتني تلك الأيام رؤية ملامح من ذاتي _ التي كنت عليها في عيون أمي. أراني هناك في عينيها الحزينتين اذهب للمدرسة وألعب في الشارع, أتحين فرصة نومها ظهراً للسباحة في النهر مع أقراني, إلى أن تستيقظ وتجبرني على العودة خوفا من الغرق. أراقب النجوم عندما استلقي على ظهري فوق السطح الدار احاول عدها ....ألا في نظراتها المبالغة بالخوف علي من كل شيء))[١٧].

يفسّر علم النفس طبيعة الأم من خلال علم النفس الأنثوي، مؤكداً بأنّ كلّ أم تتمتّع بصفات موجودة عند جميع أمهات العالم، في أيّ بقعة من الأرض، وهي: التضحية والحنان.

كما تؤدي الأم دوراً مهمّاً جداً في حياة طفلها وهو سدّ حاجاته الفيزيولوجية والنفسية على حدّ سواء . إن العنف ماثلٌ بقوّةٍ في قلب التاريخ البشري إلى درجة أنّنا بتنا نعتقد بأنّه منقوشٌ في قلب الإنسان .. لذلك يبدو من غير المفيد التحدّث عن اللاعنف طالما أنّه يتعارض مع قانون الطبيعة نفسه .. ولكن إن نحن أصغينا إلى علماء النفس فإنّهم يقولون لنا بأنّ العنف لا يلازم الطبيعة البشريّة بالضرورة، إنّما هي العدوانيّة التي تلازمها كما أنّه ليس من المحتّم على الإطلاق أن تعبّر هذه العدوانيّة عن نفسها بالعنف. فلا شيء يضاهي امان ودف وحنان الأم فالراوي يصف اشتياقه للبيت ولتلك الأيام التي حرم منها مبكرا عندما ادعى قتل قاتل ابيه بدلاً من اخيه و يعترف بجريمة قتل نفذها أخوه ناصر, وهذا ما يتضح من خلال الحوار مع شبح ناصر أخو الراوي بعد أن يتجول في مزرعة الموت.

((لقد فعلتها ... قتلته ...رفعت عني وعنك كاهل الأخذ بالثأر. حرمك من حنان أبيك والارتماء بين أحضانه والاختباء تحت عباءته. جعلتني معيلا لأفواه جائعة... يجب أن تدفع جزءا من الثمن ... سيشنقوني إن لم تعترف بقتله بدلا عني)) [١٨].

ان سمات المأوى تبلغ حد من البساطة ومن التجذر العميق في اللاوعي تجعلها تستعاد بمجرد ذكرها اكثر مما تستعاد من خلال الوصف الدقيق لها, فلهذا فأن الراوي وبسبب وقعها الصادق تحرك اعماق وجودنا, لرسم صورة المبالغ في جمالها للبيت تلغي ألفته ويصدق هذا على الحياة وان البيوت الحقيقية للذاكرة اي البيوت التي نعود اليها في احلامنا ومن الاماكن أليفة التي اشرنا اليها من والتي تطرق لها الراوي على لسان سارد الرواية وبطلها عندما **((استهواني البقاء في ذلك البلد الوسطي المتسامح في ثقافته وعاداته وتقاليده. فهو ملتقى للجهات الاربع المختلفة ... تحركت مشاعري للمرة الأولى تجاه إحدى أشجار الطيب التي كنت أراها, كانت شقيقة زوجة بواب العمارة... أيقنت أن من سمى هذا البلد(قلب الله) لم يكن مخطئاً. فها هو قلبي يدق فيه للمرة الأولى. شعور لم يراودني في حياتي السابقة, واعتبرت هذا الشعور بشارة خير تبشرني بقرب عثوري على ذات أضعتها ... وبوصولي نهاية هذا الخيط حتما سأضع نهاية للضياع))** [١٩].

كان الفضاء في لبنان مناقضاً للفضاء في مدينة كوثاريا بشكل تام فالحرية في هذا الفضاء يقابله السجن في تلك المدينة المدورة كما اسمها الراوي, لقد اراد المؤلف وبطله السارد من لبنان وطناً يعوضه على ما فقده في كوثاريا, حيث لا اصدقاء ولا مستقبل ينتظره, ولكن ماضيه كان يتراءى في كل لحظه, وقد وظف الراوي في رواية كوثاريا المكان الأليف البديل بشكل مميز, واستعان بنوع جديد من انواع الامكنة التي قسمها جيرار جينيت وهو (المكان الخارجي) ليكون بديلاً للمكان الأصلي في كوثاريا كما اشار اليه في هذا النص اذ فيه قال:**((عزمت على التمسك بخيط الجاذبية هذا ورسم خارطة طريق جديدة لحياتي, فإن تتبعته أكثر وسرت خلفه قد أجد ضالتي المنشودة, وبوصولي نهاية هذا الخيط حتما سأضع نهاية للضياع))**[٢٠].

تحول الوطن في ضمير(الراوي) وذهنه من كونه ملاذ آمناً يحتضن أبناءه إلى مكان طارد ينتج النفي والاقصاء بدل الإيواء؛ لأن المتنفذين الذين جعل العراق مسرحاً لأحداثه أرغم البطل إلى البحث عن مكان بديل, إذ خلق الحكام بسلطتهم التدميرية عالماً مشوهاً اختلطت فيها البدايات بالنهايات فجملة **(حتما سأضع نهاية**

للضياع) وهي جملة استعارية تشير إلى أمل نهاية الفوضى الناجمة عن ارتباكات التاريخ العراقي بوصفه مدونة تتصف بالبطش والدمار, ليبدأ رحلة ذاته الباحثة عن الامان في احتمالية اثبات الذات, ورحلة البحث عن الوجود والهجرة من الاغراب الداخلي عبر ملاذه الأمن (لبنان) اذ يقول: ((**وربما لا أغادر لبنان إن وجدتها...., أهاجر من غربتي الداخلية بحثا عن ذاتي لعلي أجدها فتصير وطننا أهلاً, أصدقاء, حبيبة, في أي مكان أصير إليه... وطني الحقيقي هو المكان الذي سأجد فيه ذاتي, فحولتي, أهلي, اصدقائي, أحبتي, وكل ذلك سيساعدني في عملية البحث عني**)) (٢١).

ومن الامكان الأليفة التي انهى بهى الراوي رحلة الهروب والبحث عن الذات, هي مدينة قبرص اذ فيها يقول: ((**قبرص محطة اخيرة لرحلة الهرب من سمير وكوثاريا إلى الأبد. نحاسها الدافئ في ذلك الصيف الذي يختلف عن صيف مدينتي المدورة الحار دوما مثل الرصاص منحني مزيد من الوقت للتعرف على الكثير من الذين يفهمون لغتي, فقد أجدت انتحال الشخصية التي يمكنهم الاطمئنان إليها**))(٢٢).

يفصح النص السابق عن مناخ وبيئة منطقة القبرص فالملاحظ أن بيئة هذه المدينة, هي بيئة مائية على النقيض من بيئة كوثاريا الصحراوية الحارة. وهذا الاختلاف في نوع البيئة يؤثر في سيكولوجية الفرد؛ لأن الجغرافية قدر من أقدار الشعوب, وبالتالي إن هذا التوصيف للمناخ هو وصف مباشر لخير مكان, مكان يجمع ما بين الأزرق والأخضر. فالأزرق بحر وشاطئ ونهر، والأخضر مساحات خضراء وجبال مغطاة بالأشجار. وهذا ما يمكن أن تجده في قبرص محطة كل عابر قادم من العرب أراد أن يصل لبلاد غرب المتوسط., وقبرص تعني باللاتينية أرض النحاس، وقيل في الأساطير الإغريقية القديمة إنها تسمى جزيرة العشق وجزيرة الآلهة، كون الأسطورة القديمة تتحدث عن اختيار آلهة العشق (أفروديت) هذه الجزيرة لتعيش فيها شبابها وصباها وذلك لجمالها وروعة طبيعتها، غير أن آخرين أضافوا لمعنى اسم هذه الجزيرة معنى أخرى منها (الحب) و(الزهرة) و(الصفاء)، والأكيد هو أن قبرص استوحت اسمها من صفات فيها. فهي جزيرة منتجة للنحاس وتمتلك طبيعة جميلة

وأخاذة توحي بكل ما قيل من معانٍ في اسمها. لذلك عدها الراوي نقطة شروع نحو الهروب من واقعه القديم, وانتحال شخصية تحاكي واقعه الجديد .

في ختام مبحثنا الخاص بفضاء المكان وتجلياته, أدراك الراوي بحسّه السردي, أهمية بنية دلالة فضاء المكان وتوظيفها في البنية السردية, للتعبير عن تجربته الروائية التي تسعى الى الكشف عن الواقع الذي يعيشه المجتمع العراقي, فكانت نصوصه انكاساً فنياً عن ذلك المجتمع.

كما اهم ما يميز مكان الرواية عند الكاتب هو التركيز على رمزية المكان وبعده الميثولوجي المرتسم على فضاء السجن الذي يعكس الأحداث الذي تدور فيه, ففي هذا الفضاء تدور كل أحداث الحكاية, اذ تمكن الكاتب من سرد أحداث روايته بعدة شخصيات حكائية ساهمت في تطوير ونقل العمل السردي من خلال حوارات داخلية وأخرى خارجية تعددت بتعدد المهام الموكلة إليها, فشخصيات الرواية تحمل أسماء وأفعال واقعية عاكسة لواقع المجتمع العراقي في حقبة أقل ما يقول عنها بأنها من اكثر الفترات الدموية والظالمة للواقع الاجتماعي العراقي آنذاك.

المبحث الثاني

فضاء الزماني في رواية كوثاريا

أهمية الزمان في الفضاء السردي:-

اهتمت الدراسات النقدية الحديثة بفضاء الزمن بوصفه عنصراً مهماً من عناصر البناء الروائي **((فكل رواية هي في مجموعتها تمثل لحظات زمنية مشبعة بالأحداث ومتصلة بعضها ببعض))**[٢٣], هذا يعني أن الفضاء يرتبط بالحدث ارتباطاً وثيقاً, لا يمكن أن يشكل أي حدث روائي بعيداً عن البينة الزمنية, ولا يغفل ارتباطه بفضاء المكان .

ومما لا شك فيه أن **((ارتباط الفضاءين شيء وارد لا سبيل لإنكاره أو تجاهله, فلا مكان بدون زمانه, لذا فالإحساس بفعالية المكان رهين الاحساس بفعالية الزمان, وهما بعبارة وجهان لعملة واحدة, مهما اختلفا او تقاطعا, فهما يشكلان مع باقي**

المكونات الاخرى بنية قصصية تعكس رؤية المؤلف لعالمه))[٢٤]. فضلا عن ارتباطهما بالشخصيات التي تؤطر داخل المكان ثم يسقط عليها فضاء الزمن.[٢٥] .

وقد قسم الزمن على انواع عدة, اختلفت وتنوعت بتنوع الدراسات الغربية والعربية ولكن بحثنا سيستغني عنهما ويكتفي بشرح وتناول مستوى (الترتيب) وتطبيق مستويين اثنين هما الاستباق والاسترجاع كونهما يتطابقان مع رواية بحثنا هذا وهو رواية (كوثاريا) .

ويقسم جيرار الزمان الى مستويات واقسام منها الزمان العجائبي والزمان الغيبي ومنها المستويات الأول المستوى الترتيب والذي نحن بصدد دراسته, ويتضمن **(الاسترجاع)** الذي ينقسم الى أربعة أنواع الاسترجاع بواسطة الشخصيات, وبواسطة المونولوج, وبواسطة الراوي الموضوعي, وبواسطة الحوار, وأيضا إلى **(الاستباق)** والذي بدوره يُقسم الى قسمين الاستباق غير متوقع الحصول والاستباق المتوقع الحصول[٢٦], وسوف نتحدث وتناول مستويين الاستباق والاسترجاع في مبحثنا هذا مع التطبيق.

مستوى الترتيب :

ويمثل هذا المستوى الصلات بين الترتيب الزمني لتتابع الاحداث في الحكاية والترتيب الزمني الكاذب لتنظيمها في الخطاب السردي وحصول التنافر بين هذين الترتيبين ينشى حركتين زمنتين احدهما ترتد الى الماضي تسمى استرجاع واخرى تقفز الى المستقبل وتسمى الاستباق ويسميها جيرار جينيت (المفارقات الزمنية) [٢٧].

اولا: _الاسترجاع في رواية كوثاريا :

إن تقنية الاسترجاع في فضاء الزمن هو **((عملية سردية تتمثل في ايراد السارد لحدث سابق على النقطة الزمنية التي بلغها السرد))**[٢٨], ويعد اكثر الحركات الزمنية حضورا في النص الروائي وهذا يظهر بشكل واضح في رواية بحثنا هذا, وفيه يعود السارد الى سرد بعض الاحداث الماضية, بعد أن يوقف السرد عند نقطة معينة أي أن زمن السرد هنا يتشظى إلى مجموعة من الشظايا الزمنية تفترق في البداية لتجتمع أخيراً [٢٩] .

ولم تدخل في الاطار الزمني للمحكي الاول تستعاد الاحداث والاقوال او الاعمال عن طريق مشهد مسرحي او مناجاة فردية او حوارا او حوار, اما عن طريق شخصية او الراوي الخارجي او المؤلف الضمني, وتسمى هذه التقنية (بالاستذكار) أو التذكر, وفيها يستحضر الماضي البعيد في اذهان الشخصية الروائية أو الراوي(٣٠), ويتم الاعتماد عليه لأنه من ((**التقنيات المستحدثة في الرواية، ويضع الاسترجاع في نطاق منظور الشخصية يصبغه بصبغة خاصة، ويعطيه مذاقاً عاطفياً**))(٣١), كما نراه في رواية بحثنا حين يقول:((**قرب الموقد كنت أطلب من أبي, أن يحدثني بقصة النبي إبراهيم, من بين كل القصص الأنبياء التي يحفظها ويرويها لنا في الطفولة. كانت هذه القصة تأسرني... ما زلت استغرب حتى لحظتي هذه, أن يعلق إبراهيم الفأس في عنق مردوخ, بدلاً من تحطيمه كما الأصنام الأخرى... ظلَّ هذا السؤال يلاحقني بعد أن انتقلنا الى مدينة كوثاريا**)) (٣٢).

إن مستوى الاسترجاع في هذه الرواية وفي إستهلالها يتضح بأن الراوي استخدمه لقصد ما ونقطة انطلاق لكثير من الاستفهامات حول تعليق الفأس في عنق الصنم، وإن لهما خيوطا داخل مسارات الرواية بصورة غير مباشرة من الايحاء الذي يضفيانه على بعض الاحداث وخاصة من خلال الحديث عن الاصنام او الضرورة حيث يتركاننا في حالة من الترقب لعقد صلات بين احداث الرواية وتشعباتها وبين هاتين المرجعيتين.

للوعي السردي دور في تفعيل ذاكرة الروائية وبث لحظه المناسبة للاسترجاع, وهي اللحظة التي يدعو من خلالها الراوي, العقل الباطن ليأخذ دوره في هذه العملية, فيستجلب المخزون من الذاكرة , ويتداعى على شكل بنية سردية يقوم الراوي بسرد حدث ما يتناسب مع فكرة او ثيمة الرواية وعن طريق هذا الحدث نستطيع تفسير والوقوف على كثير من الأحداث الماضية وسردها وتوظيفها من قبل الراوي للعمل على جلب اكبر واقعة واقعية واستدراجها في الزمن المعين من الرواية كما أشار السارد برجوع الى ذاكرته وقد ((**كانت عيناي معصوبتان ولم يقم أعوان سمير بفتحهما إلا عند باب**

المزرعة؛ فلا أعرف بأي جهة من ضواحي كوثاريا تقع. هذه المدينة المدورة إلتي بناها ضرورة سابقة وظل يسكنها يدورون في حلقة مُفرغة))[٣٣].

وقد أشار السارد القصصي في طريقته باسترداد ماضيه البعيد أو القريب من خلال ذكريات مخزونة في ذاكرته ولها أثر سلبي يعيش ويتعايش مع الشخصية أو البطل, كما أن الراوي في كل مرة يسترجع فيها الأوقات التي قضاها في السجن شارحاً المواقف السلبي والعادات التي تطفو على ذلك المكان المظلم, وهذه المرة ذكر فيها المدينة بشكلها الجغرافي والهندسي حينما وصفها (بالمدينة المدورة) قد يكون تشبيه بمدينة بغداد والسلطة الحاكمة فيها في توظيف رمزي عالي وسيطرة السلطة الحاكمة سابقاً عندما بناها الضرورة السابق والحلقات الحياة المليئة بالتعاسة وهي حلقات مغلقة تدور حول محور الموت والعذاب والدمار النتائج من سياسات الضرورات الحاكمة .

ثانياً : الاستباق في رواية كوثاريا

الاستباق وهو تقنية سردية تدل على حركة سردية تروى أو تذكر بحدث لاحق مقدما[٣٤]، أي انه حركة زمنية تعني قص حادثة قبل حدوثها بزمن أو ناتج عن تصور مستقبلي لحدث متوقع الحصول او ربما يقع في المستقبل السرد نفسه أو زمن الاحق للسرد دون اخلال أو تأثير في منطقة النص, إذ يستطيع القارئ تحديد الاستباقات النصية, والحكم بتحققها أو عدمه كون الاستباق حدث يتوقع حصوله بالمستقبل وهذا في ذهن الراوي.

الاستباق غالبا ما يروي أحداثا سابقة عن اوانها أو يمكن توقع حدوثها[٣٥]، ويتطلب ذلك القفز على فترة ما من زمن الحادثة أو القصة وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الاحداث والتطلع الى ما سيحصل من مستجدات في الرواية[٣٦]، إذ أن الاستباق في هذا المفهوم يعني التوغل في المستقبل، والافصاح عن الهدف أو ملامحه قبل الوصول الفعلي اليه، أو الاشارة إلى الغاية المستقبلية قبل وضع اليد عليها[٣٧], وفي ذلك افصاح عن تلك العلاقة بين((**التشكيل السردي للزمن ورؤية المؤلف، وبين هذه الرؤية وفلسفة الكاتب للزمن))**[٣٨] .

وفي رواية بحثنا هذا يظهر الاستباق في نصوصها بشكل جلي حيث يوظف الراوي عن طريق بطل الرواية وساردها نصوص فيها استباق زمني لأحداث تتوقع الحصول وتكهن بمستقبل وقوع تلك الاحداث والاعلان عما ستؤول اليه مصائر الشخصيات لسدة ثغرة قد تحدث في النص وفي روايتنا يشير الراوي الى خوف السارد من المجهول الذي ينتظرهه وهاجس الهلع الذي يصوره في ادراكه بأن ((**ستمطر السماء الحقيقة يوماً ما وتنبت هذه المزرعة رجالاً ونساءً واطفالاً, ربما ستنبت جثتي معهم ويُعرف بعد الفوات الأوان إنه اختطفني وأراد ليَّ أن أكون, ضمن مجهولي الهوية المدفونين هنا وما فائدة معرفة الحقيقة آنذاك؟**))[٣٩].

الراوي عمد في هذا النص لاستعمال سين حرف يختص بالمضارع، ويخلّصه للاستقبال، وأن مدة الاستقبال معه أضيق قد تفيد السين الوعد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضٍ لتوكيده وتثبيت معناه حرف توسع، لأن السين نقلت المضارع من الزمن الضيق وهو الحال، إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال ولهذا ان السارد ان حصول الامر في المستقبل لا محال ولكن في الفعل الثاني (ستنبت) فأن الاجابة المستقبلية مرهونة بالظهور من عدمه ولهذا يقول لا فائدة من معرفة الحقية بعد فوات الاوان, أو محاولة تخمين الإجابة، وتتضح أهمية هذا المدخل الاستهلالي للوحة الرواية واستباقه للزمن ومدى هيمنته على الرواية.

وفي نص الرواية الاستباقي الذي تتاص مع قصة النبي ابراهيم في ذلك الزمان وقبل اربعة الاف سنة كان نمرود ظالم ويأمر الناس بعبادته, وحين تنبئت الكهنة لنمرود أن النجوم تخبرنا عن ميلاد صبي يكبر وتكون نهاية ملكك على يده ويبدو أن الراوي وظف هذه القصة في روايته حين قال: ((**نحن كنا مسجونين لأننا معارضين, أدخلونا سجن الأحداث لأن العرافات وقارئات الفنجان الضرورة اخبرنه بأننا سنكبر ونكون خلفاءه. فاعتقلونا ونحن أحداث صغار بتهم ملفقة**))[٤٠].

في النص الروائي وبالتحديد بالمستوى الاستباق المتوقع تكون هنالك قفزات زمنية التي تتحقق أو قد تتحقق في الحاضر الروائي الذي ظهر في بعض الروايات ومنها رواية بحثنا هذا حيث عمد الراوي الى ربط الفضاء بأحداث واقعية قد تحدث في

المستقبل وهو واقع في عالم اليقظة نتيجة الاستعلام عن طبيعة وفكرة وتخطيط كثير من الناس في ادارة البلد وزحف به الى الهواية يتوقع ان تتحقق الاستباق الزمني من خلال نص الرواية واستشراقه بـ((**ليس أمامي متسع من الوقت لأشرح لهم تفاصيل الكارثة التي ستقع, يجب أن أعود بأسرع وقت ما يمكن. فالإخطبوط تزداد أذرعه عدداً وقوة, ويريد ابتلاع كوثاريا بأسرها... جميعنا مشاركون بصنع المحرقة التي لم تكن برداً وسلاماً علينا كما كانت على إبراهيم. فهو استخدم فأسه لتحطيم مشعليها, ونحن استخدمنا فؤوسنا لجمع الحطب وزيادة أوارها , فصرنا حطباً لها... ربما لم تكن مصادفة؟ ربما يوجد كاتب للسيناريو كما قال حمود الأعرج**

_ الموعد, الحساب ...))[٤١].

يصف لنا الراوي مدى هول وعظمة خطر هؤلاء الخفافيش على مدينته واستعلامه المسبق عن جرمهم وبطشهم من خلال الفترة التي قضاها في السجن معهم, واستعار بمفردة الاخطبوط كتعبير كنائي عن حجم الاخطر وتعدد الايدي القتل فيه حين قال تزداد ولم يقل يزداد . كما في النص كسر للأفق المتوقع كون ان النار كانت برداً وسلاماً على نبينا ابراهيم وايضاً عدم كسر افق الانتظار بمواجهه الخطر كما فعل ابراهيم بل زدناها حطباً رسمها بربطها بمرجعيات تغذيها بصورة غير مباشرة, لتعطيها صبغة اكثر درامية ودهشة.

الخاتمة:-

لا بد لنا الإشادة بأن منجز رواية (كوثاريا), عملاً روائياً يعكس عبقرية كاتبها الإبداعية؛ إذ تمكن صاحبها من التحكم في استخدام أليات السرد وتأثيراتها على روايته لتظهر لنا بأبهى صورة وتشد المتلقي اكثر للغوص في مدياته واستكناه ما تنطوي عليه من دلالات وإشارات .

ومن خلال ما سبق يتجلى لنا ايضاً وبوضوح ان السارد قد أعتمد على أكثر من راو في روايته, اذ يقود المشهد الحواري غالباً, وكانت الشخصيات الساردة تفعل ذلك في بعض الأحيان. وقد تدّخل الراوي في الحوارات أكثر الأحيان بالتعليق عليها وعلى المتحاورين, أو تسريد بعض فقرات من الحوار, أو وصف إحدى الشخصيات أو

الأمكنة, كما برزت ظاهرة المفارقات الزمنية التي تقطع الحوار راسمة ابهى الأحداث التي تتسم بقيمتها الدرامية وخالقة اجمل مشاهد الاستطرادية التي كان لها طابع التعليق والتأمل, ويكون الوصف المتميز أساساً لها, بالتنوعه التعبيري حاملاً محتوى ومضمون فكرة الرواية.

خلاصة البحث

وفي الختام بحثنا هذا, وبعد الاستقراء لرواية كوثاريا, وبعد لولوج في عوالمها الغريبة التاريخي والديني والسياسي والاجتماعي حان اجتناء ثمراتها من كل مبحث ما استطعنا اليه سبيلا حين اشرنا الى موضوع البنية السردية وفضاءيها المكاني والزماني.

- ❖ وقف الراوي كثيراً على معالم مدينته الجنوبية كاشفا عن جماليات الأمكنة فيها, ومعبِّرا عن سيكولوجية أهلها, وواصفاً مناخها وطبيعتها. وقد أخذ منه المكان حيزا واسعاً من متنه السردي. ويعدُّ هذه الإلحاح على ثيمة المكان إفصاحا عن أهميته في حياة الناس, لأن المكان يتجاوز وجوده الهندسي ليحيل لبقايا شعرية تسهم في تشكيل ضمير الإنسان وسيكولوجيته العميقة عن طريق ثرائها الأنثروبولوجي المحمَّل بتاريخ عريق من الإنسانية والتحولات التاريخية والاجتماعية.
- ❖ وان الشيء الملفت للانتباه في رواية كوثاريا هو قدرة الكاتب مواكبة التطور الحضاري السريع والذي انعكس على كثير من المفاهيم والمصطلحات التي كونت عناصر الرواية.
- ❖ مفهوم المكان بوصفه مكونا روائيا أساسيا مسته تأثيرات التطورات الحضارية والتكنولوجية التي جعلت الرواية مرآة عاكسة لواقع المجتمع الاليم بطريقة رائعة وسلسة وشيقة في الوقت ذاته، فأنعكس ذلك في فصول الرواية رغم ارثها الحضاري ومرجعيتها الدينية في عتبة النص وغلاف الرواية وعنوانها.
- ❖ استطاع الكاتب ان يستغل ذلك من التحكم في استخدام المكان وتأثيره على الرواية وعلى شخصياتها في فضاءه المكاني بشقيه المعادي والاليف في التعبير عن دلالة الاحداث التي مرت بها ببطل الرواية والنكبات التي نزلت بالعراق وعكس المشاعر

والمعاناة الاليمة التي عرفها وعاشها اهلها او المجتمع العراقي طلية عقب من الزمن تمثلت بسياسات حملت العراق واهله الى بحر الظلمات.

- ❖ وفي فضاء الزمان الذي اعتبره من اهم ركائز نجاح الرواية بتنوع تقنياته الزمنية ورد الاسترجاع بطرق اعتمد عليها السارد في مزج الواقع بالخيال خلق الأجواء المناسبة لسياق روايته مع الرغبة الكبيرة في التجديد بلغة السرد التي تستمد حيويتها من الواقع وانطلاقا من العناصر السردية المعروفة.

الهوامش:

(١) رواية كوثاريا, نعيم ال مسافر, دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع, بغداد, ط١, ٢٠١٤م, ص١٥.

(٢) نحو رواية جديدة، الآن روب جرييه، ترجمة: مصطفى ابراهيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص: ١٣٤. وينظر: الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ترجمة: أسعد رزوق، مراجعة: العوضي الوكيل، مؤسسة سجل العرب، القاهرة (د.ت)، ص: ١١.

(٣) ينظر: السرد النفسي في الرواية العراقية الحديثة(٢٠٠٣-٢٠١٥م), شيماء حسن جبر, أطروحة دكتوراه, الجامعة المستنصرية, كلية الآداب, ٢٠١٨م, ص١٧٠.

(٤) اشكال الزمان والمكان في الرواية , مخائيل باختين, تر: يوسف حلاق, منشورات وزارة الثقافة, دمشق, ١٩٩٠م, ص٥.

(٥) بنية الشكل الروائي, حسين بحراوي, المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ .١٩٩٠م, ص٣٢.

(٦) ينظر: صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج, جوادي هنية, أطروحة دكتوراه, جامعة محمد خيضر بسكرة, الجزائر, ٢٠١٣م, ص١٩٢. وينظر: التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف, عبد الحميد المحادين, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, عمان- الأردن, بيروت- لبنان, ط١, ١٩٩٩م, ص١٠٢.

(٧) رواية كوثاريا, نعيم ال مسافر, ص١٢.

(٨) ينظر: كوثاريا المدينة والسؤال: دراسات وحوارات, دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني, ط١, ٢٠١٦م, ص١٨.

(٩) كوثاريا, ص٢٥.

(١٠) (م-ن), ص٧٣-٧٤.

(١١) (م-ن), ص٣٣-٣٤.

(١٢) جماليات المكان, غاستون باشلار, تر: غالب هلساً, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, بيروت-لبنان, ط٢, ١٩٨٤,.

(١٣) ينظر: (م-ن), ص

(١٤) ينظر: البنية السردية في شعر الصعاليك, د. ضياء غني لفتة, دار الحامد, الأردن, ط١, ٢٠١٠م, ص١١٧.

(١٥) كوثاريا, ص١٢.

(١٦) (م-ن), ص٦٣.

(١٧) (م-ن), ص٩١.

(١٨) (م-ن), ص٣٨.

(١٩) (م-ن), ص١١١.

(٢٠) (م-ن), ص١١٣.

(٢١) (م-ن).

(٢٢) (م-ن), ص١١٤.

(٢٣) غائب طعمة فرمان روائيا, سلسلة رسائل جامعية, فاطمة عيسى جاسم, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ٢٠٠٤م, ص١٢٧ .

(٢٤) المكان في العمل الفني قراءة في المصطلح, د. احمد زينيبر, مجلة عمان, ص١٣.

(٢٥) (م-ن).

(٢٦) ينظر: خطاب الحكاية بحث في المنهج , جيرار جينيت , ت : محمد معتصم وآخرون, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ط٢, ١٩٩٧م, ص٤٧وما بعده..

(٢٧) ينظر: (م-ن), ص٤٦.

(٢٨) البناء الفني في الرواية العربية في العراق ,ج١, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ت: د شجاع مسلم العاني , ص٦٢ .

([٢٩]) ينظر: الف ليلة وليلة وسحر السردية العربية "دراسات", داود سلمان الشويلي, إصدارات معهد الشارقة للتراث, الامارات, ط١, ٢٠١٩م, ص٧٥.

([٣٠]) ينظر: المكان المتخيل, بين النص الشكسبيري والمعالجات الشكسبيرية الحديثة, مروه مهدي مصطفى, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ٢٠٠٧م, ص١٥٧. وينظر: الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبر, د. إبراهيم جنداري, دار تموز للطباعة . نشر. توزيع, سوريا, ط١, ٢٠١٣م, ص١١٤ وما بعدها.

([٣١]) المقدمة التذكرية في الشعر الاندلسي : د . حميدة صالح البلداوي ، مجلة كلية التربية للبنات، عدد ١٢ ، سنة ٢٠٠١ ، ٦٣.

([٣٢]) كوثاريا, ص٥.

([٣٣]) (م-ن), ص٤٣.

([٣٤]) خطاب الحكاية: بحث في المنهج، جيرار جينيت, ص٥١.

([٣٥]) (م-ن), ص٨٢.

([٣٦]) ينظر: بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي, ص١٣٢.

([٣٧]) ينظر: أيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد حمد النعيمي، المؤسسة العربية للدراسات،الاردن،٢٠٠٤،ص ٣٨.

([٣٨]) تشظي الزمن في الرواية الحديثة، أ مين رشيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة, ١٩٩٨م، ص١٠.

([٣٩]) كوثاريا, ص٩.

([٤٠]) (م-ن), ص٤٦.

([٤١]) (م-ن), ص١١٧-١١٨.

المصادر والمراجع والكتب:

- اشكال الزمان والمكان في الرواية , مخائيل باختين, تر: يوسف حلاق, منشورات وزارة الثقافة, دمشق, ١٩٩٠م.
- أيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد حمد النعيمي، المؤسسة العربية للدراسات،الاردن،٢٠٠٤م.
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق, شجاع مسلم العاني, دار الشؤون الثقافية, بغداد, ج١.
- بنية الشكل الروائي, حسين بحراوي, المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ .١٩٩٠م.
- تشظي الزمن في الرواية الحديثة، أ مين رشيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة, ١٩٩٨م.
- التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف, عبد الحميد المحادين, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, عمان–الأردن, بيروت– لبنان, ط١, ١٩٩٩م.
- جماليات المكان, غاستون باشلار, تر: غالب هلساً, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, بيروت–لبنان, ط٢, ١٩٨٤.
- خطاب الحكاية بحث في المنهج , جيرار جينيت , ت : محمد معتصم وآخرون, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ط٢, ١٩٩٧م.
- رواية كوثاريا, نعيم ال مسافر, دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع, بغداد, ط١, ٢٠١٤م.
- الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ترجمة: أسعد رزوق، مراجعة: العوضي الوكيل، مؤسسة سجل العرب، القاهرة (د.ت)، ص: ١١.

- غائب طعمة فرمان روائيا, سلسلة رسائل جامعية, فاطمة عيسى جاسم, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ٢٠٠٤م.
- الف ليلة وليلة وسحر السردية العربية "دراسات", داود سلمان الشويلي, إصدارات معهد الشارقة للتراث, الامارات, ط١, ٢٠١٩م.
- الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبر, د. إبراهيم جنداري, دار تموز للطباعة . نشر. توزيع, سوريا, ط١, ٢٠١٣م.
- المكان المتخيل, بين النص الشكسبيري والمعالجات الشكسبيرية الحديثة, مروه مهدي مصطفى, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ٢٠٠٧م.
- نحو رواية جديدة، الآن روب جرييه، ترجمة: مصطفى ابراهيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

الرسائل والدوريات

- السرد النفسي في الرواية العراقية الحديثة (٢٠٠٣-٢٠١٥م), شيماء حسن جبر, أطروحة دكتوراه, الجامعة المستنصرية, كلية الآداب, ٢٠١٨م.
- صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج, جوادي هنية, أطروحة دكتوراه, جامعة محمد خيضر بسكرة, الجزائر, ٢٠١٣م.
- المكان في العمل الفني قراءة في المصطلح, د. احمد زنيبر, مجلة عمان الثقافية, عدد ١٢٩, ٢٠٠٦سنة م, ص١٣.
- المقدمة التذكرية في الشعر الاندلسي : د . حميدة صالح البلداوي ، مجلة كلية التربية للبنات، عدد ١٢ ، سنة ٢٠٠١م ، ٦٣.